# نحو النص بين النظرية والتطبيق

## (سورة المنافقون أنموذجا )

**الدكتور**

**زياد سلطي نهار مستريحي**

**أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها**

**كلية العلوم والدراسات الإنسانية بالسليل**

**جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز**

**الملكة العربية السعودية**

**عنوان البحث : نحو النص بين النظرية والتطبيق (سورة المنافقون أنموذجا )**

**كلمات مفتاحية : النص – النظرية – التطبيق – البنية العميقة– التداولي – الترابط النصي – البنية العميقة – المتلقي .**

**عنوان الباحث : كلية العلوم والدراسات الإنسانية بالسليل جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز الملكة العربية السعودية**

**اسم الباحث: زياد سلطي نهار مستريحي**

**التوصيف الأكاديمي: أستاذ مساعد**

**الإيميل الجامعي: mistarihi@psau.edu.sa**

## ملخص باللغة العربية

تناول هذ البحث دراسة نظرية نحو النص من الجانب النظري ، ومن ثم تطبيق مفاهيم ما جاءت به هذه النظرية على نص قرآني ، حيث تم تطبيق هذه المفاهيم على سورة (المنافقون) . والبحث بالمجمل تناول أولا الحديث عن مفهوم النص عند اللسانيين ، ومن ثم تناول الترابط النصي الذي يتحقق في بنيتين أساسيتين هما البنية السطحية والبنية العميقة ؛ فأما الأولى فتتمثل بمستويين هما : المستوى النحوي الذي يشمل الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والإسناد والتلازم، والمستوى المعجمي والدلالي الذي يؤدي إلى تماسك في بنية النص السطحية بالاستناد إلى العلاقة القائمة بين لفظين معجميين وذلك من خلال شقين أساسيين هما التكرار والتضام . وأما البنية العميقة فهي تنحصر في المستوى التداولي والسياق ، وتم خلال الحديث عن هذه البنية تناول العناصر التي على أساسها تُدرس تداولية النص ، وهي المرسل ،والمتلقي ، والحضور ، والموضوع ، والمقام ، والقناة ، والنظام ، وشكل الرسالة ، والمفتاح ، والغرض . وبعد هذا العرض النظري تم اختيار سورة ( المنافقون ) إنموذجا ؛ ليتم من خلالها تطبيق نظرية نحو النص .

## ملخص باللغة الإنجليزية

This research is a theoretical study which sheds light on textuality from theoretical perspective . It attempts to employ the main concepts of textuslity theory on a Quranic text . the research generally investigates the meaning of text by providing definitions of some linguist , and then it talks about the coherence of the text which is achieved by two factors namely the surface structure and the deep structure . Concerning the surface namely the surface structure , it is represented in two levels : the grammatical level , which includes referral , replacement , deletion , connection , attribution , correlation . On the other hand , lexical and semantic level leads to coherence in the superficial textual structure based on the existing relationship between two lexical terms , through two basic parts : repetition and cohesion . As for the deep structure , it is limited to the pragmatic level and the context . The main elements of studying texts pragmatically are addressed in this research namely the sender , receiver , the audience , topic , genre , channel , system , the message form , and the purpose . Surat (Al-Munafiqoon) is chosen as a model for applying the theory of textuality in this study after presenting the theoretical side .

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقد بذل علماء العربية جهودا عظيمة في مجال الدرس اللغوي ، تدفعنا إلى تقدير وإكبار ما قدموه لنا عبر المراحل التاريخية المتعاقبة . ولكن الدرس اللغوي في مجمله كان يتمحور بشكل عام على دراسة الجملة ، فأفاضت الدراسة اللغوية القول فيها ، ولم تكن هذه الدراسات تتعدى ذلك سوى الحديث عن علاقة الجمل التوابع بالجملة الرئيسة التي هي محور الدراسة لديهم ، من مثل جملة الحال وجملة النعت .

ولما تمخضت الدراسات اللسانية في الغرب عن ولادة نحو النص أو لسانيات النص في أواخر الستينات ـ اطلع اللغويون العرب على ما وصلت إليه الدراسات اللسانية في هذا المجال، وبدأت ملامح هذه النظرية تتبلور في العديد من الدراسات اللغوية العربية ، حتى أصبحت تسيطر على الكثير من أفكار ونتاجات الدارسين والباحثين في مجال اللغة العربية في هذا الزمن .

ويأتي هذا البحث ليقدم في مجمله الرؤية النظرية لنحو النص ، ثم تطبيق مفردات هذه النظرية على سورة من سور القرآن الكريم . فتناول مفهوم النص عند النصيين والمعايير التي وضعها هؤلاء للنص المثالي ، والإشكالية التي وقع فيها المترجمون عند ترجمة هذه المعايير .

وتناول البحث في الجانب النظري كذلك الحديث عن الترابط النصي الذي يتحقق في بنيتين أساسيتين ؛ البنية السطحية ، والبنية العميقة . فأما البنية السطحية فهي على مستويين اثنين ؛ أولهما المستوى النحوي الذي يتمثل في الإحالة بشقيها ( الداخلية والخارجية ) ، والاستبدال بأنواعه ( الاسمي والفعلي والقولي ) ، والحذف بأنواعه ( حذف الاسم وحذف الفعل وحذف الجملة ) ، والوصل ، والإسناد والتلازم . ثانيهما المستوى المعجمي والدلالي ، الذي يؤدي إلى تماسك البنية السطحية بالاستناد إلى العلاقة القائمة بين لفظين معجميين ، وينقسم إلى نوعين هما التكرار والتضام .

وأما البنية العميقة ، فهي محصورة في المستوى التداولي والسياق . وقد أكد البحث على أن السياق قد حظي باهتمام علماء النص ؛ وذلك لما للسياق من دور في التحام عناصر النص على مستوى هذه البنية العميقة ، ثم ذكر البحث العناصر التي تدرس على أساسها تداولية النص ، مثل المرسل ، والمتلقي ، والحضور ، والموضوع ، والمقام ، والقناة ، والنظام ، والشكل ، والمفتاح ، والغرض .

ومن ثم تم تطبيق هذه المعايير ( معايير البنية السطحية ومعايير البنية العميقة ) على سورة المنافقون .

والله الموفق

**مفهوم النص :**

إن دراسة اللغة من منطلق نظرية نحو النص تنأى عن الدراسات النحوية القديمة التي تقف عند حد الجملة ، إذ طرح لسانيو النص الجملة جانباً ،باعتبار الجملة وحدها قاصرة عن كشف مكنونات النص والعلاقات الداخلية بين مكونات الجمل والنسيج الكلي لهذا النص، واتجهوا إلى مذهب جديد في دراسة النصوص ، يقوم على أساس استظهار التماسك على مستوى البناء السطحي (البنية السطحية)، ومن ثم انسجامه الكلي على مستوى البناء العميق (البنية العميقة).

هذا ، وقد تعددت الآراء حول مفهوم النص عند هؤلاء ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن علماء النص قد تباينوا في رؤاهم للونه ، ومختلفون في قناعاتهم بشكله ، فبعضهم مثلا يقول: إن النص هو" التسجيل الكلامي لحدث تواصلي "(١)، وبعضهم يرى: أنه " سلسلة محكية أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية "(٢)، أو أنه " كل قطعة شفوية أو مكتوبة ، طالت أو قصرت وكونت

(١) ـ براون ، ج . ب وزميله ، تحليل الخطاب ، ترجمة وتعليق : منير التريكي وزميله ، الرياض ، ١٩٩٣م ، ص ٢٩٨ .

(٢) ـ ستشايفر ، جان ماري ، العلاماتية وعلم النص ، إعداد وترجمة : منذر عياش ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٤م ، ط١ ، ص١١٩

كلا موحدا" ٣[١]. فالتعريف الأول اقتصر في تحديد ماهية النص على الكلام الملفوظ ، أما التعريفان الآخران فالنص فيهما يشمل الكلام الملفوظ والمكتوب . ولكن مع أن التعريفين الأخيرين اتفقا في الإشارة إلى أن النص كلام ملفوظ أو مكتوب إلا أنهما اختلفا في حجم هذا الكلام . فالتعريف الثاني يراه سلسلة من الكلام (أي مجموعة من الجمل) ، والتعريف الثالث يرى أن كل كلام يشكل نصا ، سواء أكان طويلا (مجموعة من الجمل )أم قصر (جملة واحدة)، وهو ما عبر عنه بالقول: "كل قطعة...طالت أو قصرت".

وصفوة القول في هذا المقام أن ثمة اختلاف شديد بين الاتجاهات في تعريف النص ، إلى حد التناقض أحيانا أخرى ، فلا يوجد تعريف معترف به من قبل عدد مقبول من الباحثين من اتجاهات علم النص بشكل مطلق[٢].

ولا شك في أن المهتمين من أبناء العربية بهذا المجال يتأثرون بالتباين في تعريف النص ، فيقبلون على تحليل الخطاب العربي على خطى علماء النص الغربيين؛ لأن خطابنا العربي يفتقر إلى مدرسة عربية مستقلة .

هذا ، وقد ذهب علماء النص الغربيون خاصة يضعون معايير للنص المثالي ؛ ليحتكوا إليها في إصدار أحكامهم على غيره ، وهذه الأحكام تعد

(١)ـ هاليدي وحسن ، نقلا عن الشاوش ، محمد ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس ،(د ت)، ط١ ، ج١ ، ص ١٠٦ .

(٢) ـ البحيري ، سعيد ، علم النص : المفاهيم والاتجاهات ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٧م ، ط١ ، ص١٠١ .

مستندا لهم في قبول النص أو رفضه ؛ إذ إن استجابة نص ما لمعاييرهم تدل على أنه قادر على تحقيق التواصل المنشود بين المبدع والمتلقي ومن أبرز المعايير المشهورة في هذا المقام :

| | |
|---|---|
| ١ـ السبك | Cohesion |
| ٢ـ الالتحام | Coherence |
| ٣ـ القصد | Intentionality |
| ٤ـ القبول | Acceptability |
| ٥ـ رعاية الموقف | Situationality |
| ٦ـ التناص | Intertextuality |
| ٧ـ الإعلامية | Informativity (١) |

وتتجلى قيمة هذه المعايير في تقويم اللسانيين للنص على هدى منها في منبت علم اللغة النصي ، أو في المواطن التي انتقل إليها هذا العلم ، لكن الأمر المستغرب في هذا السياق يظهر في الترجمة العربية لبعض هذه المعايير وخاصة المعيارين الأول والثاني ، إذ لم يتفق المترجمون على المصطلح العربي المقابل لكل منهما ، وهذا ينعكس سلبا على الدارس العربي حيث سيجد نفسه في حيرة بسبب غياب المصطلح الموحد . ويحسن في هذا المقام الوقوف على تعدد المصطلحات العربية للمعيارين المشار إليهما سابقا.

(١)ـ انظر: بوجراند ، روبرت دي، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة: تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ط١ ، ص١٠٣- ١٠٥ .

فأما المصطلح الإنجليزي (Cohesion) فقد جاء في ترجمته قولهم: "السبك"(١)، و"الاتساق"(٢)،و"الارتباط"(٣).

وأما المصطلح الثاني (Coherence) فجاء في ترجمته قولهم : "الالتحام"(٤)، و"الانسجام"(٥)، و"الحبك"(٦)، وأضاف صلاح فضل قوله : "التماسك"(٧).

فالذي يظهر من هذا ، أنه على الرغم من محاولات الترجمة لهذين المصطلحين ، إلا أن الخلط والتداخل في الترجمة واضح ، ولا ريب في أن ثمة ترادفا بين بعض ترجمات المصطلحين ، خاصة قولهم (الاتساق)

(١)- انظر: بوجراند ، المرجع السابق ، ص١٠٣ ، ومصلوح، سعد ، في النص الأدبي : دراسات أسلوبية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ٢٠٠٢م ، ط٣ ، ص٢٢٩ .

(٢)- انظر: خطابي، محمد، لسانيات النص : مدخل إلى انسجام النص ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩١م ، ط١ ، ص٤٠٩ . و الشاوش ، محمد ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية . ١/ ١٠٦

(٣)- انظر: الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ١/ ١٠٦ .

(٤)- انظر: بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص١٠٣ .

(٥)- انظر : خطابي ، لسانيات النص ، ص٤٠٩ ، والشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية . ١/ ١٠٦ .

(٦)- انظر : الفقي ، صبحي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : دراسة تطبيقية على السور المكية ، القاهرة ، دار قباء ، ٢٠٠٠م ، ط١ ، ج١ ، ص٩٤ . والترجمة التي ذكرها الفقي هي لعبدالرحمن مصلوح.

(٧)- انظر فضل ، صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الكويت ، ١٩٩٢م ، ص٢٥٤ .

و(الانسجام) وقولهم (السبك)و(الحبك) . ويؤكد ذلك ما جاء به الفقي الذي رأى أن المصطلح (Cohesion) يصلح للدلالة على التماسك والترابط ، وأنه لا حاجة لغيره[١]. ولا شك في أن هذا التداخل في ترجمة المصطلحات له أثره السلبي الواضح على الدارس العربي في هذا المجال.

وبعيدا عن الاختلاف في ترجمة المصطلح ، فإن علماء النص رأوا أن الترابط النصي يتحقق في البنيتين التاليتين :

أولا : البنية السطحية ، ولها مستويان ، هما :

١ـ المستوى النحوي :

إذ إن هناك عناصر محددة على المستوى النحوي ، تتآلف بها أبنية النص ووحداته الصغرى إيذانا بتشكل نص متماسك ، وقد رأى اللسانيون أنها تتمثل في ما يلي :

أ ـ الإحالة :

تعد الإحالة من العناصر الرئيسة في تماسك النص تماسكا سطحيا على المستوى النحوي ، فالنص الذي تسري الإحالات في ثناياه ترابط جمله بعضها ببعض ، ويشتد عضد بنائه ، فالإحالات على اختلافها تمثل حبلا متينا تتعالق به مكونات النص .

(١)ـ انظر: الفقي ، صبحي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، ٩٦/١ .

والإحالة في نظر علماء النص لها مدلولها ، فهي في نظر الزناد " قسم من الألفاظ التي لا تمتلك دلالة مستقلة ، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب "(١). وذهب الشاوش إلى أنها " قدرة الوحدة اللفظية على أن ترجع المتخاطبين (المتكلم والمخاطب) إلى شيء موجود في الواقع هو ما سماه المحدثون مرجعا ، وسماه علماء المعنى في الدراسات اللغوية القديمة خارجا " (٢). ورأى بوجراند أنها " العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يُدَلُّ على بالعبارات ذات الطابع البدائلي "(٣) .

ولا بد من القول إنه مهما اختلفت صياغات المفهوم عند العلماء والدارسين ، فصورته الذهنية واحدة أساسها عنصران ، يفسر أحدهما الآخر بالعودة إليه ابتغاء تحقيق التواصل بين طرفي الخطاب (المبدع والمتلقي).

وتعد الإحالة من الموضوعات التي تنبه إليها علماء السلف ، فتناولوها بأسلوب ينسجم واهتماماتهم النحوية خاصة ، دون أن يطابق المذاهب اللسانية في العصر الحاضر(٤). فقد وضع السيوطي يده على الإحالة ؛ إذ عقد

(١)ـ الأزهر الزناد ، نسيج النص : بحث في ما يكون الملفوظ نصا ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٣م ، ط١ ، ص ١١٨ .

(٢) ـ الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ١/ ٩٥٩ .

(٣)ـ بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص ٣٢ .

(٤)ـ انظر: الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ٢/ ٩٦٥.

فصلا عنوانه ( في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها ) ، ومن أبرز موضوعاته مرجع الضمير وقاعدة عود الضمير(١).

ومهما كانت لفتات القدماء في هذا المجال ، فلا يمكن الزعم بأن عنايتهم بها في الدرس اللغوي القديم بلغت مبلغ المعاصرين ؛ فالدراسات اللسانية المعاصرة غاصت في أعماق الإحالة ، وكشفت عن قيمتها الجليلة في إحكام بنيان النص وتماسكه السطحي ، ثم أبدع النصيون في عناصرها ، وتقسيمها ، ونمط تحليلها ، وجعلوها في قسمين ، هما :

١ـ الإحالة المقامية ( الخارجية ) ، وفي هذا الضرب من الإحالة يحيل المبدع المتلقي على عنصر يقع خارج النص ، مثل : الإحالة على المتكلم ذاته بضميره ، وأسباب النزول في القرآن الكريم ، والمناسبة في القصيدة الشعرية . ومن هذا النمط من الإحالة قوله تعالى : " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ " (٢) ، وما من شك في أن ضمير الغائب محال إحالة خارجية على القرآن الكريم ، ولا يبلغ التواصل مرماه بين طرفي الخطاب على الوجه الأكمل إلا بتحديد المحال عليه .

(١)ـ انظر: السيوطي ، جلال الدين ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تحقيق : علي البجاوي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٣م .

(٢)ـ سورة القدر/ ١ .

٢ـ الإحالة النصية ( الداخلية ) ، وفي هذا النمط تتم إحالة العناصر اللغوية في النص على عناصر أخرى في النص ذاته ، سواء أكانت متجاورة أم متباعدة .

فالعناصر المحالة والمحال عليها إذن ماثلة في النص ، سواء أكان ملفوظا أم مكتوبا . وإذا ما تقدمت مرجعية الإحالة وتأخر المحال فهي قبلية ، نحو قوله تعالى : " إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا "(١) ، فالهاء محالة على الأرض .

وإذا ما تأخرت مرجعية الإحالة وتقدم المحال فهي بعدية ، كما هو الحال في ضمير الشأن الذي يعد النموذج الأمثل في الدلالة على هذا اللون من الإحالة ، نحو قوله تعالى : " قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ "(٢) ، بيد أن الضمير المتصل لا يقع إحالة بعدية إلا في أطر محددة ، كما في قوله تعالى : " فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ "(٣) ، فالمحال هو ضمير الغائب المفرد المتقدم على نفسه ، والمحال عليه هو موسى الذي ذكر بعد المحال .

وهناك ثلاث منظومات لغوية في العربية تمثل العناصر الإحالية الداخلية ، هي الضمائر ، نحو قوله تعالى : " وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا "(٤) ، وأسماء الإشارة

(١)ـ سورة الزلزلة/ ١ .

(٢)ـ سورة الإخلاص/ ١ .

(٣)ـ سورة طه/ ٦٧ .

(٤)ـ سورة الشمس/ ١ .

، مثل قوله تعالى : " ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ "(١) ، والأسماء الموصولة ، نحو قوله سبحانه : " اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا....."(٢) . وقد أطلق الفقي على المنظومات السابقة ضمائر ؛ لأنها تؤدي وظائف متشابهة ، مثل المرجعية والربط(٣).

ويبدو مما سلف أن المحال عليه مقصور على كلمة واحدة ، لكننا لا نعدم أن يكون جملة أو جملا متتالية(٤) ، أما (جملة) فنحو قوله تعالى : " وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ... "(٥) ، فـ (ذلك) اسم إشارة محال على الجملة الواقعة في مطلع الآية ، وأما (جملا متتالية) فنحو قوله سبحانه : " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا "(٦) ، فـ (ذلك) إحالة على الجمل الفعلية التي أسندت أفعالها إلى واو الجماعة في الآية نفسها

(١)- سورة البقرة/ ٢ .

(٢)- سورة الرعد/ ٢

(٣)- انظر : الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، ١/ ١٣٨ .

(٤)- انظر : خطابي ، محمد ، لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ١٩ .

(٥)- سورة البقرة/ ٢٣١ .

(٦)- سورة الفرقان/ ٦٨ .

. وهذا اللون من الإحالة يقع في فلك الإحالة المقطعية أو النصية من حيث نوع المفسر(١) .

ب ـ الاستبدال :

هو " عملية تتم داخل النص ، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر "(٢) . فالعنصران اللذان تقع بينهما هذه العملية ماثلان في النص ملفوظا أو مكتوبا ، ومرتبطان بخيط من الدلالة يسوغ إحلال الثاني محل الأول ، مما يؤدي إلى إحداث تماسك في النص .

وثمة ثلاثة أنواع للاستبدال نقلها الخطابي عن هاليدي وحسن ، هي:

١ـ استبال اسمي ، ويتم باستعمال العناصر : one ، ones، same .

٢ـ استبدال فعلي ، ويمثله استعمال العنصر : do .

٣ـ استبدال قولي ، ويستعمل فيه العنصران : so ، not (٣).

ومن الأمثلة على الاستبدال الاسمي قوله تعالى : " الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ

(١)ـ انظر : الأزهر الزناد ، نسيج النص : بحث في ما يكون الملفوظ نصا ، ص ١١٩ .

(٢)ـ خطابي ، محمد ، لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ١٩ .

(٣)ـ انظر خطابي ، محمد ، المرجع السابق ، ص ٢٠ ،

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ "(١). فلفظ الجلالة في مطلع الآية الثامنة استبدال بـ (الرحمن) من الآية الخامسة .

أما الاستبدال الفعلي فيتمثل في نحو قوله سبحانه وتعالى : " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا "(٢) . فالفعل ( يضاعف ) استبدال بـ ( يلق ) . وأما الاستبدال الفعلي فهو على نحو قولة سبحانه : " وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "(٣) ، فـ ( قولهم ) استبدال بالقول في الآية : " وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ "(٤) .

**ج ـ الحذف :**

يعد الحذف من عناصر التماسك النصي على المستوى النحوي ، وهو من المواضيع التي اعتنى بها النحاة ، فقد لا يترابط الكلام ، ولا تتجلى معانيه في مواطن كثيرة إلا بتقدير عنصر لغوي محذوف ، يجري تقديره بالاعتماد على السياق ، وهو على ثلاثة أقسام :

(١)ـ سورة طه / ٨ـ .

(٢)ـ سورة الفرقان / ٦٨ ـ ٦٩ .

(٣)ـ سورة يونس / ٦٥ .

(٤)ـ سورة يونس / ٤٨ .

١ـ حذف الاسم ، ومنه قوله سبحانه : " ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ "(١) ، أي وشراب بارد .

٢ـ حذف الفعل ، ومنه قوله سبحانه : " وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ "(٢) . أي الله خلقها .

٣ـ حذف الجملة ، ومنه قوله سبحانه وتعالى : " وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ "(٣) . فقد حذف جواب الشرط من هذه الآية ، ويمكن تقديره مثلا بـ ( لرأيت سوء منقلبهم )(٤) .

**د ـ الوصل :**

كان اهتمام البلاغيين القدماء بالفصل والوصل أكثر من اهتمام إخوانهم به في علوم العربية الأخرى ، ومنهم الجرجاني(٥) ، والسكاكي(١) . لكن هؤلاء

---

(١)ـ سورة ص / ٤٢ .

(٢)ـ سورة لقمان / ٢٥ .

(٣)ـ سورة السجدة / ١٢ .

(٤)ـ انظر : الزركشي ، محمد بن عبدالله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٧٢م ، ٣ / ١٨٣ .

(٥)ـ انظر : الجرجاني ، عبدالقاهر ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، وقف على تصحيح طبعه وعلق على حواشيه : محمد رشيد رضا ، بيروت ، دار المعرفة ، ( د ـ ت ) ص ١٧٠ ـ ١٩٢ .

درسوه وفق مبدأ نحو الجملة ، خلافا للسانيين المعاصرين الذين صبوا جهودهم على نحو النص ، وعدوا الوصل من العناصر النحوية التي تؤدي إلى التماسك على مستوى المظهر .

ومن أبرز الروابط في هذا المضمار الوصل الحرفي الذي ينتظم بحروف العطف ، وعلى رأسها الواو ، ولا شك في أن هذه الواو تعد أهم رابط من روابط الفصل وذلك بالنظر إلى سيرورتها في صورة الكلام المكتوب والملفوظ . وقد يجري الربط أيضا بحرفي الاستئناف الواو والفاء ، وبواو الحال كذلك وغيرها من الحروف .

وهناك ما يسمى بالربط العكسي نحو قولك : على عكس ما هو متوقع ، والوصل السببي كالسبب والنتيجة والشرط ، وهناك أيضا ما يسمى بالوصل الزمني(٢) .

**هـ ـ الإسناد والتلازم :**

يعد الإسناد والتلازم من الأركان التي قام عليها النحو العربي ، فالإسناد تبرز قيمته في بنية الجملة ، ففي الجملة الفعلية يسند الفعل إلى الفاعل ، وفي الجملة الاسمية يسند الخبر إلى المبتدأ . وبالاستناد إلى هذا الأساس تصير

(١)ـ انظر : السكاكي ، محمد بن علي ، مفتاح العلوم ، ضبطه وكتب حواشيه وعلق عليه : نعيم زرزور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

(٢)ـ انظر : خطابي ، محمد ، لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٢٢ .

الكلمات المستقلة جملا متماسكة بوسيلة من وسائل التماسك التي تبدو عللا سطح النص .

والتلازم في النحو العربي قائم على عنصريين لغويين ، يؤديان دورا في تماسك البنية السطحية للنص ، فالتوابع ـ على اختلاف أنواعها ـ تتعالق بالمتبوع ، والمجرور بحرف الجر أو بالمضاف ، والتمييز بالمميز ، وهكذا . وقد سمى الزناد المتلازمين اللغويين مركبا ، نحو مركب بدلي ، ومركب إضافي ، ومركب تمييزي ، وغيرها (١).

بالإضافة إلى ما سبق ، فإن التناغم الموسيقي أيضا قد يؤدي دوره في زيادة التماسك على المستوى النحوي في النصوص النثرية ذات الجمل المتوازنة التي تقوم بنيتها الأفقية على السجع والقصر . وهناك سور كاملة من القرآن الكريم يتمثل فيها هذا اللون من الجمل ، ومنها سورة الأعلى ، وسورة الشمس ، وسورة القمر ، وسورة الهمزة .

وفي الشعر يمكن ان تتشكل بنية الجمل المتوازنة أفقيا ورأسيا ، ومن مثل هذ قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

بِأَنَّا المُطْعِمُوْنَ إِذَا قَدَرْنَا  وَأَنَّا المُهْلِكُوْنَ إِذَا ابْتُلِيْنَا
وَأَنَّا المَانِعُوْنَ لِمَا أَرَدْنَا  وَأَنَّا النَّازِلُوْنَ بِحَيْثُ شِيْنَا
وَأَنَّا التَارِكُوْنَ إِذَا سَخِطْنَا  وَأَنَّا الآخِذُوْنَ إِذَا رَضِيْنَا

(١)ـ انظر : الأزهر الزناد ، نسيج النص : بحث فيما يكون الملفوظ نصا ، ص ٢٦ .

وَأَنَّـا العَاصِمُـوْنَ إِذَا أُطِعْنَـا  وَأَنَّـا العَازِمُـوْنَ إِذَا عُصِيْنَـا(١)

ويمكن أن تتكون الجمل المتوازنة من بنية رأسية ، نحو قول الخنساء ترثي أخاها صخرا :

ردَّاد عارية فكَّاكُ عانية  كضَيغَمٍ باسِلٍ للقِرْنِ هَصّارِ

جَوّابُ أوْدِيَة حَمّالُ ألوِيَة  سَمْحُ اليَدَينِ جوَادٌ غيرُ مِقتارِ(٢)

ويمكن ان تتكون الجمل المتوازنة من بنية أفقية ، مثل قول الشريف الرضي :

قَوّمَ بالأذى مِنها صِعَاداً  وذلَّلَ بالرُّقى منها صِعابا(٣)

**٢ـ المستوى المعجمي والدلالي :**

يؤدي هذا المستوى تماسكا في بنية النص السطحية بالاستناد إلى العلاقة القائمة بين لفظين معجميين ، وينقسم إلى نوعين ، هما :

أ ـ التكرار :

لم يكن التكرار جديدا في العربية ، فهو ضرب من أضرب التوكيد ، لكنه في نحو النص " شكل من أشكال الاتساق المعجمي ، يتطلب إعادة عنصر

(١)ـ عمرو بن كلثوم ، ديوان عمرو بن كلثوم ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٦م ، ط١ ، ص ٧٠ .

(٢)ـ الخنساء ، تماضر بنت عمرو ، ديوان الخنساء ، بيروت ، المكتبة الثقافية ، ص ١١ .

(٣)ـ الشريف الرضى ، محمد بن الحسين ، ديوان الشريف الرضي ، تحقيق : عبدالفتاح الحلو ، باريس ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦م ، ط١ ، ١ / ٢٥١ .

معجمي ، أو ورود مرادف له ، أو شبه مرادف ، أو عنصرا مطلقا ، أو اسما عاما " [١] . والعنصران المعجميان مرتبطان بخيط من الدلالة في النص ؛ ليؤديا دورهما في تماسك أوصاله . ومما تكرر فيه العنصر المعجمي مثلا قوله تعالى : " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ "[٢] . فالكلمتان ( للمكذبين ) و ( يكذبون ) عنصران معجميان متسقان في الدلالة ، ومما ورد فيه الترادف على سبيل المثال قوله سبحانه : " وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ "[٣] فـ ( يخشون ) مرادف ( يخافون ) .

ب ـ التضام :

التضام في علم اللغة النصي يعني " توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظر ارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك "[٤] .

والفكرة إذن أنه لا بد في النص من كلمتين تحكمهما علاقة ما . ومن بين العلاقات الممكنة علاقة التضاد (الطباق) ، نحو التضاد الوارد في قوله تعالى : " وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا

(١)ـ خطاب ، محمد ، لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٢٤ .

(٢)ـ سورة المطففين / ١٠ـ١١ .

(٣)ـ سورة الرعد / ٢١ .

٤ـ خطاب ، محمد ، لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٢٥ .

الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ" (١) .

وقد يتسع نطاق التضاد إلى الجمل ، وذلك نحو قوله تعالى : " فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " (٢)، وعلاقة الجزء بالكل ، نحو قوله سبحانه : " تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ "(٣) ، فجبريل واحد من الملائكة . ومن العلاقات علاقة الانتماء إلى شيء واحد أو علاقة واحدة أو ما كان على هذا النسق ، مثل قوله تعالى : " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " (٤) . فالأصناف الواردة في الآية الكريمة تنتمي إلى ذوي الصدقات .

ثانيا : البنية العميقة :

تشكل هذه البنية عاملا مهما في ترابط النص وانسجامه ، وهي محصورة وفق ما ذهب إليه علماء النص في مستوى واحد هو ( المستوى التداولي والسياق ) .

(١)- سورة فاطر / ١٩-٢٢ .

(٢)- سورة التوبة / ٨٢ .

(٣)- سورة المعارج / ٤ .

(٤)- سورة التوبة / ٦٠ .

وقد حظي سياق النص ملفوظا أو مكتوبا باهتمام علماء النص ، وتبين أن السياق الأمثل يقود إلى التحام متميز على مستوى البنية العميقة ، لذلك ، فقد وضعوا عناصر تدرس على أساسها تداولية النص ابتغاء تحقيق الانسجام المنشود فيه . وقد نقلها الخطابي عن هايمس الذي حصرها في " المرسل ، والمتلقي ، والحضور ، والموضوع، والمقام ، والقناة ، والنظام ، وشكل الرسالة ، والمفتاح ، والغرض "(١) .

ويمكن تناول هذه العناصر بالتفصيل على النحو الآتي :

أ ـ المرسل : وهو المتكلم في الفنون اللسانية أو الكاتب في الفنون الكتابية ، من حيث تمكنه من زمام الحدث التواصلي ملفوظا أو مكتوبا ، وأسلوبه ، وسلامة لغته ، وغيرها .

ب ـ المتلقي : وهو المستمع مشافهة للفن اللساني ، او القارئ للفن الكتابي ، من حيث ثقافته ، ومستواه العلمي ، وجنسه ، وعقيدته ، وحالته النفسية .

ج ـ الحضور : وهم الجمهور الذي يستمع إلى خطاب بوسيلة غير مباشرة ، بالإضافة إلى المستمعين مباشرة من المبدع .

د ـ الموضوع : وهو العنصر الأساس الذي يتناوله المرسل في النص .

(١)ـ انظر : خطابي ، محمد ، لسانيات النص : مدخل إلى انسجام النص ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

هـ ـ المقام : ويتمثل في مكان الخطاب ، وزمانه ، وما يصاحب الإرسال من حركات وإيماءات وإشارات وتنغيم ، ودرجة الصوت ، وغيرها .

و ـ القناة : وهي وسيلة الاتصال بين المبدع والمتلقي ، مثل الكلام ملفوظا أو مكتوبا ولغة الإشارات ، وغيرها .

ز ـ النظام : ويقصد به النظام اللغوي الذي يتضمن الحدث التواصلي ، فقد يكون الفصيحة ، أو اللسان الأم ، أو اللهجة ، أو غيره .

ح ـ شكل الرسالة : ويقصد به نوعها ، فقد تكون قصيدة ، أو خطبة ، أو رسالة شخصية ، أو موعظة ، أو غير ذلك .

ط ـ المفتاح : ويتضمن التقويم ، ويمكن أن يتحقق بالتغذية الراجعة ، أو بملاحظة سلوك المتلقي .

ي ـ الغرض : وهو القصد الذي رمى إليه المرسل من الحدث التواصلي الموجه إلى المتلقي ابتغاء تحقيقه .

وإذا ما انعدمت أدوات التماسك السطحي أو بعضها في نص ما ، وتعددت الاحتمالات في تحديد المحال عليه ـ فلا بد من السياق المحيط بالنص للكشف عن التماسك [١] .

(١)ـ انظر : الفقي ، صبحي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : دراسة تطبيقية على السور المكية ، ١ / ١٠٢ .

كان هذا هو الإطار النظري لعملية الترابط النصي التي جاء بها علماء النص ، وفيما يلي دراسة عملية لهذه النظرية من خلال سورة ( المنافقون ) :

بسم الله الرحمن الرحيم

" إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ

(٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ

الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ".

أولا : البنية السطحية ، وتضم المستويين الآتيين :

١ـ المستوى النحوي :

يتمثل التماسك النصي في سورة المنافقون على المستوى النحوي في عدة عناصر ، تتلخص فيما يلي :

أ ـ الإحالة :

يبدو التماسك النصي في السورة قويا بالإحالات الكثيرة التي أدتها عناصرها المتمثلة في ضمائر الغائب خاصة ، والأسماء الموصولة ، نحو : الذين ومن وما ، وأسماء الإشارة ، مثل : ذلك وأولئك على الترتيب ، وقد ذهب الفقي إلى أن المجموعات الثلاث ضمائر لتشابهها في المرجعية والربط خاصة [١] .

وتتمتع الإحالة الداخلية على اختلاف صورها بسيرورة في السور ، وهي تنماز بسهولة تحديد طرفيها ، خلافا للخارجية التي يحتاج تحديد المحال عليه الخاص بها إلى العودة إلى مصادر أخرى . وفي السورة مواضع متعددة

(١)ـ انظر : الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، ١ / ١٣٨ .

وردت فيها إحالات خارجية ، فضمير المتكلم حيثما ورد في السورة ينتمي إلى هذا النوع من الإحالة ، ومثل ذلك ضمير الغائب .

وإضافة إلى ما سبق ، ففي السورة أربع إحالات خارجية ، ثلاث منها أسماء موصولة ، والرابعة ضمير الغائب ( واو الجماعة ) . وهي على النحو التالي :

ـ (مَن) الموصولة وضمير الغائب مِن تنفضوا في قوله تعالى : " هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا " [١]. إذ يمكن تحديد المحال عليه بالعودة

إلى كتب التفسير التي حددته بالأعراب[٢] ، والمهاجرين[٣] ، ويبدو أن الأرجح هو الرأي الثاني ؛ لأن صراع المنافقين في المدينة مع المهاجرين لا الأعراب .

ـ (ما) الموصولة في قوله تعالى : " وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ "[١] . وبالاستطاعة إحالته خارجيا على " بعض ما أعطيناكم وتفضلنا به عليكم من الأموال"[٢].

(١)ـ سورة المنافقون / ٧ .

(٢)ـ انظر : ابن كثير ، إسماعيل أبو الفداء ، تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، ١٩٨٠ ، ط ١ ، ٤ / ٣٧٢ .

(٣)ـ انظر : الغرناطي ، محمد بن يوسف ، البحر المحيط في التفسير ، طبعة جديدة بعناية : عرفات حسونة ، مراجعة : صدقي محمد جميل ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٢م ، ١٠ / ١٨٣ .

ـ (ما) الموصولة في قوله سبحانه : " وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"(٣). ويمكن تحديد المحال عليه "بأعمالكم من خير أو شر"(٤) .

لقد ارتبطت العناصر الإحالية ( المحال ) في الآيات بعناصرها الإشارية ( المحال عليه ) ، وشكلت الأولى منها لحمات سرت في آيات السورة كلها ، بل في الجمل التي تركبت منها الآيات ، فالتأمت بالإحالات الكلمة بالكلمة ، نحو : " وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ "(٥) ، أو الجملة بجارتها ، مثل : " إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا "(٦) ، أو الآية بأختها ، كقوله تعالى : " اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ "(٧) . فـ (ذلك) من الآية الثالثة إحالة على " ساء ما كانوا يعملون "(٨).

---

(١)ـ سورة المنافقون / ١٠ .

(٢)ـ الصابوني ، محمد ، صفوة التفاسير ، بيروت ، دار القرآن الكريم ، ١٩٨١م ، ط ١ ، ١٨ / ٦٠ .

(٣)ـ سورة المنافقون / ١١ .

(٤)ـ الصابوني ، محمد ، صفوة التفاسير ، ١٨ / ٦٠ .

(٥)ـ سورة المنافقون / ١.

(٦)ـ سورة المنافقون / ١ .

(٧)ـ سورة المنافقون / ٢ـ٣ .

١٠ـ الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر ، مفاتيح الغيب ، بيروت ، دار الفكر ، ٣ / ١٣ .

ويظهر في السورة واضحا ان المنافقين هو العنصر الإشاري الذي ورد في الطليعة من حيث عدد الإحالات عليه ، إذ بلغت أكثر من أربعين ، ابتداء من الآية الأولى حتى الثامنة ، وهي على الترتيب قوله : ( قالوا ، اتخذوا ، أيمانهم ، فصدوا ، إنهم ، كانوا ، يعملون ، بأنهم ، آمنوا ، كفروا ، قلوبهم ، فهم ، لا يفقهون ، رأيتهم ، أجسامهم ، يقولوا ، لقولهم ، كأنهم ، يحسبون ، عليهم ، هم ، فاحذرهم ، قاتلهم ، يؤفكون ، فاحذرهم ، لهم ، تعالوا ، لووا ، رؤوسهم ، رأيتهم ، يصدون ، هم ، عليهم ، لهم ، لهم ، لهم ، هم ، يقولون ، الذين ، لا يفقهون ، يقولون ، لا يعلمون ) . وهذا الحشد من الإحالات على عنصر واحد ( المنافقون ) أطلق عليه بعض علماء النص المجموعة الإحالية الرئيسية (١).

ولا شك في أن هذا الكم من الإحالات أدى إلى تماسك لا يخفى على أحد ، ويشير إلى أن المحال عليه يمثل بؤرة السورة الكريمة وقضيتها المحورية التي جاءت بها .

ويأتي لفظ الجلالة ( الله ) والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد لفظ المنافقين من حيث عدد الإحالات ، فقد بلغت سبع إحالات على كل من اللفظين ، فأما المحالة على لفظ الجلالة فهي على الترتيب قوله : ( يعلم ، لرسوله ، يشهد ، لرسوله ، لا يهدي ، رزقناكم ، أخرتني ). وأما المحالة على

(١)ـ انظر الأزهر ، الزناد ، نسيج النص : بحث فيما يكون الملفوظ نصا ، ص ١٣٧ .

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهي أيضا على الترتيب قوله : ( رأيتهم ، يعجبك ، تسمع ، احذرهم ، رأيتهم ، استغفرت ، لم تستغفر) .

وهناك إحالات أحادية أدت إلى التماسك في موضع واحد من السورة ، ففي الآية الثالثة أحيل ( ذلك ) على (سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) من الآية الثانية ، وفي الثامنة ( منها ) على ( المدينة ) ، وفي التاسعة ( الذين ، آمنوا ) على المنادى ( أيُّ ) ، وفي التاسعة ( يفعل ، فأولئك ، هم ) على ( من ) الشرطية ، وفي العاشرة ( فيقول ) على ( أحد ) ، وفي الحادية عشرة ( أجلها ) على ( نفسا ) .

ب ـ الوصل :

وللوصل دوره في ترابط لبنات السورة ، إذ وردت فيها جملة من الروابط الحرفية ، ثم حصرها في أحرف العطف ( الواو والفاء وثم ) ، وحرفي الاستئناف ( الواو والفاء ) ، وواو الحجال . وبالإجمال ، فقد أدى العطف والاستئناف وظيفة نصية ملحوظة ، نتج عنها ارتباط بين الجمل المتجاورة في إطار الآية ، أو ارتباط بين آيتين متواليتين ، وآية هذا قوله تعالى : ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ

عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ))[١]. حيث تكررت فيه الروابط الحرفية ست مرات .

بالإضافة إلى ما سبق ، فقد جرى الربط بواو الحال في الفاصلة القرآنية من قوله تعالى : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ )) [٢].

ج ـ الحذف :

وللحذف دور محدود في التماسك السطحي ، إذ برزت قيمته في موضعين ، أولهما حذف المقسوم به ( الله ) من قوله تعالى : ((لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ )) [٣] . وثانيهما حذف جملة جواب الشرط من قوله تعالى : ((وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا )) [٤]. وتقديرها من السياق ( فلن يؤخرها الله ) .

**د ـ الاستبدال :**

علاوة على العناصر السطحية التي سلف ذكرها ، فقد أدى الاستبدال دورا في تماسك السورة ، يستند غلى إحلال لفظ آخر محل لفظ سابق دون ان

(١)ـ سورة المنافقون / ٣ـ ٤ .

(٢)ـ سورة المنافقون / ٥ .

(٣)ـ سورة المؤمنون / ٨ .

(٤)ـ سورة المنافقون / ١١ .

يبدو أدنى خلل في السياق . ولقد لمع هذا العنصر في مواضع متعددة في السورة على النحو الآتي :

علاوة على العناصر السطحية التي سلف ذكرها ، فقد ادى الاستبدال دورا في تماسك السورة ، يستند إلى إحلال لفظ محل لفظ سابق دون أن يبدو أدنى خلل في السياق ، وقد لمع هذا العنصر في مواضع متعددة ، ومن ذلك استبدال الفعل ( يَفْعَلْ ) بالفعل ( تُلْهِكُمْ ) في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ )) (١) . وعلى نحو ذلك استبدال لفظ ( الْفَاسِقِينَ ) من قوله تعالى : ((إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ))(٢) بـ ( الْمُنَافِقِينَ ) مما سلف ، ومثل ذلك استبدال ( نَفْسًا ) في الآية الأخيرة ((وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ))(٣) بـ ( أَحَدٍ ) من قوله تعالى : ((وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ )) (٤). وفي هذه الآية الأخيرة استبدل لفظ ( رَبّ ) بلفظ الجلالة .

**هـ ـ الإسناد والتلازم :**

---

(١)ـ سورة المنافقون / ٩ .

(٢)ـ سورة المنافقون / ٦ .

(٣)ـ سورة المنافقون / ١١ .

(٤)ـ سورة المنافقون / ١٠ .

يعد الإسناد عاملا رئيسا في بناء الجملة . فهي تعتمد في تشكلها الأساسي على علاقة تربط الكلمة بالكلمة ، سماها العرب الإسناد ، مما يؤدي إلى ولادة الجملة النحوية، بشقيها الاسمية والفعلية ، التي تعد الوحدة الصغرى في بنية النص مكتوبا أو ملفوظا.

ثم تزداد الجملة وضوحا ، وتتسع دلالاتها بالمركبات النحوية ( المتلازمات ) التي تلتصق بها ، مثل : مركبات التوابع ، والجر ، والنصب ، والشرط ، وغيرها .

والخلاصة أن الكلام في العربية يقوم على الإسناد ، فالاسم من الوحدة الإسنادية ( الجملة ) في الآية القرآنية يأتلف مع البدل ، والإضافة، والحال ، وجواب الشرط ، وغيرها ، ثم ترتبط بجارتها بوسيلة من وسائل الربط النصي على مستوى الظاهر ، فيبدو التماسك عاما في السورة . والشكل التالي يوضح هذه الآلية من الترابط .

(( وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ))(١).

**و ـ الجمل المتوازنة والإيقاع :**

ثمة أداة أخرى من ادوات الربط السطحي ، هي النظم المتوازي أفقيا ، الذي يستند إلى أساس دلالي ، او إلى تماثل في الفواصل القرآنية التي تولد

(١)ـ سورة المنافقون / ١١ .

إيقاعا متناغما ، تزداد روعته في الآيات القصيرة المتقاربة في الطول ، ذات الفواصل المتشابهة في النطق .

وبالنظر إلى الفواصل القرآنية في سورة المنافقون نحو : لكاذبون ، يعملون ، لا يفقهون ، يؤفكون ، مستكبرون ، الفاسقين ، لا يفقهون ، لا يعلمون ، الخاسرون ، الصالحين ، تعملون ـ فإنه يلاحظ مدى التماثل والتقارب بين أغلب هذه الفواصل ، ويمكن القول إنه وبالرغم من عدم توافق بعض هذه الفواصل في الوزن الصرفي ، إلا أن التوافق في الإيقاع بينها أمر لا يمكن إنكاره ، فالمقاطع الصوتية الأخيرة في كل هذه الفواصل القرآنية متشابهة في الطول ومتشابهة أيضا في نوع الحرف الأخير ، وهذا الأمر يؤكد على أن السورة الكريمة تتسم بإيقاع جميل لا يمكن للقارئ والمتلقي إلا ان يتذوق عذوبته ويدرك حسنه وروعته ، فضلا عن أنه كلما حسن الأداء بالتجويد كان الإحساس بالعذوبة والروعة أقوى ، وهذا كله له دور في زيادة الإحساس بالتماسك النصي للسورة بشكل عام .

**٢ ـ المستوى المعجمي والدلالي :**

بالإضافة إلى ما سبق ، فإن هذا يؤدي دوره في التماسك النصي على مستوى البنية السطحية . وهذا يظهر بجلاء في :

**أ ـ التضام :**

يبدو التضام في التقابل الدلالي لبضعة أزواج من الكلمات ، وردت في مواطن متعددة في السورة الكريمة ، على النحو الآتي :

تنحصر الألفاظ المتضادة في بضعة أزواج من الأفعال والأسماء ، فمن الأفعال نحو ( آمَنُوا و كَفَرُوا ) في قوله تعالى : ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ))(١)، و( أَسْتَغْفَرْتَ و لَمْ تَسْتَغْفِرْ ) في قوله تعالى : ((سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ))(٢) . ومن الأسماء نحو ( السَّمَاوِاتِ والأَرْضِ ) في قوله سبحانه : ((وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ))(٣)، و ( الأَعَزّ والأَذَلّ ) في قوله جل علاه : ((يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ))(٤) .

وبوجه عام فإن المقابلة في المقامات اللغوية تدل على نمط من التماسك يقوم على الجمع بين ضدين لا يلتقيان ، ومنها ما يمثل في السورة صراعا لا ينتهي ، مثل ( آمَنُوا و كَفَرُوا ) ، فحيثما وجد المؤمنون والكافرون كان الصراع بينهما .

وثمة علاقة قائمة على الترادف بين ( لا يَفْقَهُونَ ولا يَعْلَمُونَ ) في قوله تعالى : ((هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ

(١)ـ سورة المنافقون / ٣ .

(٢)ـ سورة المنافقون / ٦ .

(٣)ـ سورة المنافقون / ٧ .

(٤)ـ سورة المنافقون / ٨ .

خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ))(١).

وكذلك فهناك علاقة اخرى قائمة على شبه الترادف بين ( لَوّوا يَصُدّونَ ) في قوله سبحانه : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ))(٢).

وهناك علاقة أخرى تستند إلى الخاص والعام ، وتبدو واضحة في علاقة ( مَنْ ) الشرطية بالمؤمنين من قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ))(٣). ولعل في الترادف تأكيدا للمعنى أو القصد .

**ب ـ التكرار :**

شارك التكرار التضام في جانب من تماسك الآيات ، إذ إن السورة اشتملت على بضعة مواضع برز فيها تكرار عناصر معجمية أدت إلى ترابط ما في ظاهر النص ، فبالإضافة إلى تكرار لفظ الجلالة في حوالي أربعة عشر

(١)ـ سورة المنافقون / ٨ـ٧ .

(٢)ـ سورة المنافقون / ٥ .

(٣)ـ سورة المنافقون / ٩ .

موضعا ـ نجد التكرار أيضا في ( نَشْهَدُ و يَشْهَدُ ) في الآية الأولى ، و ( أَجَل ) في الآية العاشرة و ( أَجَلُهَا ) في الآية الحادية عشرة ، و ( يَقُلُوا و قَوْلِهِم ) في الآية الرابعة ، و ( أَخّرْتنِي ) في الآية العاشرة و ( يُؤخّر) في الآية الحادية عشرة ، و ( تَسْتَغْفِرْ و يَغْفِر ) في الآية السادسة ، و ( الأَعَزّ و العِزّة ) في الآية الثامنة .

والخلاصة أن النص القرآني يتميز بترابط لا يحاكيه ترابط في أي نص آخر ؛ لغزارة الوشائج التي تؤدي إلى انسجام تام في جمله وآياته ؛ فهو كلام الله الذي يسمو فوق كل كلام بخصائصه نظما وبلاغة وإعجازا .

ثانيا : البنية العميقة وتتمثل في المستوى التداولي والسياق :

جاءت سورة المنافقون بعد سورة الجمعة التي جاءت آخر آية فيها قوله تعالى : (( وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ))(١). وهؤلاء المنافقون هم الذين استهلت سورة المنافقون الحديث بهم ، وهذا يعني أن الانتقال من سورة إلى أخرى فيه انسجام في الموضوع . فالقرآن الكريم نص تنتظم موضوعات انتظاما دقيقا ، وتتعالق السور فيه بوشائج قوية ، يدركها كل ذو بصيرة ، هذا بالإضافة على ان سورة المنافقون تعلقت بسابقتها من حيث " أن تلك السورة مشتملة على ذكر بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر من كان يكذبه فلبا ولسانا بضرب المثال كما قال ( مثل الذين حملوا التوراة ) ،

(١)ـ سورة الجمعة / ١١ .

وهذه السورة على ذكر من كان يكذبه قلبا دون اللسان ، ويصدقه لسانا دون القلب "[١]. والتكذيب على هذا النحو من صفات المنافقين الذين جبلوا على إظهار خلاف ما يضمرون ؛ ليحققوا غاياتهم وبث عوامل الفرقة بين المسلمين

بالإضافة إلى ارتباط السورة بسابقتها فقد أشار الزركشي إلى تناسب بين مطلع سورة المنافقون وآخرها ، وبوجه عام فإن هناك مناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة سابقتها [٢].

إن الانتقال من عنوان سورة المنافقون إلى مفتاحها ( الآية الأولى ) قد جرى بشكل دقيق ؛ وذلك لانهما منسجمان انسجاما مطلقا ، وهذا الانسجام يعد من سمات النص القرآني بشكل عام .

ولقد وضع علماء النص عناصر للمستوى التداولي لتكون معايير يحتكم إليها الدارسون في تقدير درجة تماسك النص في بنيته العميقة على هذا المستوى ، ثم نقلها الخطابي عن هايمس[٣] . ويمكن تدارس سورة المنافقون بالاستناد أليها على النحو الآتي :

أ ـ المرسل ( المبدع ) ، إنه الله ـ جل في علاه ـ يعلم الظاهر والباطن ، والسر والعلن ؛ لذلك فهو سبحانه يعلم حال المنافقين ومنهجهم وصفاتهم ، وقد بدأت صفات هؤلاء عندما أقسم ابن سلول في أثناء العودة من غزوة بني

(١)ـ الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر ، مفاتيح الغيب ، ٣٠ / ١٢ .

(٢)ـ انظر : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ١ / ١٨٥ـ١٨٦ .

(٣)ـ انظر : خطابي ، محمد ، لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

المصطلق أن يخرج الأعز ـ يعني نفسه ـ الأذلَّ ـ يعني الرسول صلى الله عليه وسلم ـ من المدينة . فكان هذا القول إيذانا من الله عز وجل بإطلاق الخطاب الرباني في سورة المنافقون التي أشارت إليهم بالبنان ، وفضحتهم فضيحة مشهودة على الملأ [١]، هذا إلى جانب الإشارات الكثيرة إليهم في كثير من آيات القرآن الكريم .

ب ـ المستقبل ( المتلقي ) ، إنه الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي تلقى الخطاب الرباني بواسطة جبريل عليه السلام ، بعد أن علم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمقولة رأس المنافقين ابن سلول ، الذي أنكر ما جرى به لسانه بين يديه ـ عليه الصلاة والسلام ـ . ويمكن القول في هذا المقام إن الخطاب القرآني حقق تواصلا منقطع النظير بين رب العزة ونبيه .

إن من تلقى الخطاب الرباني هو أفصح البشر الذي فهم مرامي السورة ومقاصدها ، فسلك مسلكا يناسب فئة المنافقين التي تريد إلحاق الأذى بعضد المجتمع المسلم في كل زمان ومكان . وما من شك في أن التوافق الذي لا تحده حدود بين طرفي الخطاب يؤكد قوة انسجام بنيته العميقة .

ج ـ الجمهور، وهم الناس الذين أخذوا الآيات الكريمة من سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد النزول .

(١)ـ انظر : الغرناطي ، البحر المحيط في التفسير ، ١٠ / ١٧٩ .

د ـ الموضوع ، وهو محدد في هذه السورة في فئة المنافقين الذين يسعون إلى تثبيط عزيمة المسلمين وخلخلة بنيانهم .

هـ ـ المقام ، نزلت هذه الآيات بعد غزوة بني المصطلق التي صدع ابن سلول في أثناء العودة منها بأن يخرج الأعزُّ من المدينة الأذلَّ .

و ـ القناة ، وهي وسيلة الاتصال بين المبدع والمتلقي . والوسيلة هنا نص إلهي ، وخطاب قرآني من الله عز وجل ، إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، بواسطة جبريل عليه السلام ، ثم من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الناس جميعا .

ز ـ النظام ، فقد نزلت السورة على النبي عليه الصلاة السلام باللغة العربية الفصيحة التي لا تجاريها فصاحة ولا بيان . وهذه اللغة الإلهية قد عجزت العرب جميعا عن الإتيان بشيء مثلها .

ح ـ شكل الرسالة . إن هذه السورة ـ كغيرها من سور القرآن العظيم ـ نمط فريد من الخطابات التي عرفتها البشرية منذ عهد النبوة ولن تعرف مثله إطلاقا ، ولن تأتي البشرية كمثله أبدا ، فهي سورة ـ كغيرها من السور ـ تنماز بالتفرد ، وصدق الجوهر ، وروعة المظهر ، وبلاغة الأداء .

ط ـ المفتاح ، ويتضمن التقويم الذي يمكن أن يتحقق بملاحظة سلوك المتلقي في مدى حذره من المنافقين ، والتصدي لهم ، وإبطاله مكرهم .

ي ـ الغرض ( القصد ) ويمكن حصر القصد الذي ابتغاه رب العزة من إنزال سورة المنافقون في تحذير المسلمين منهم بالكشف عن هذه الفئة الضالة ، بغية التصدي لهم ومكائدهم . ولا يخفى ان في السورة صراعا بين فريقين ؛ فريق الحق وفريق الباطل . أما الأول فهم الرسول والمؤمنون ، وأما الثاني فهم المنافقون .

وخلاصة القول أن النص القرآني منسجم في بنيته العميقة ، وهذه البنية يجليها المستوى التداولي تجلية لا نظير لها ، هذا بالإضافة إلى الإيمان المطلق بأن كلام الله عز وجل فيه ترابط لا يحاكيه ترابط آخر في كلام البشر مهما بلغت درجة فصاحته وبلاغته .

## خاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله العربي الأمين ، وبعد : ففي ختام هذا البحث الذي تناول نظرية نحو النص بين النظرية والتطبيق ، فقد قدم في مجمله الرؤية النظرية لنحو النص ، ثم تطبيق هذه النظرية على سورة من سور القرآن الكريم . وبعد هذا العرض الموجز لهذه النظرية ، والتطبيق العملي لها من خلال سورة (المنافقون) ، فقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج تتمثل فيما يلي:

**أولا** : إن نظرية نحو النص من النظريات الحديثة التي حظيت باهتمام كبير لدى علماء اللسانيات ، وقد تأثر بها الكثير من الدراسين والباحثين العرب وحازت على اهتمامهم .

**ثانيا** : تعددت الآراء في مفهوم النص عند العلماء النصيين ، وهذا التباين والتعدد في تعريف النص كان له الأثر على المهتمين من أبناء العربية في مجال الدراسات النصية .

**ثالثا** : إن النص المثالي له معايير خاصة ، وإليها يُحتكم عند إصدار الأحكام ، غير أن الاختلاف بين العلماء في ترجمة هذه المعايير كان له أثره السلبي على الدارس العربي بشكل عام .

**رابعا** : إن نظرية نحو النص بالمجمل تقوم على دراسة النص من خلال بنيتين أساسيتين ، هما البنية السطحية والبنية العميقة للنص .

**خامسا** : إن البنية السطحية للنص تتحقق من خلال المستوى النحوي والمستوى المعجمي والدلالي . فأما المستوى النحوي ففيه عناصر محددة تتألف بها أبنية النص ووحداته الصغرى إيذانا بتشكل النص المتماسك ، وأما المستوى المعجمي والدلالي فيؤدي وظيفته في النص بالاستناد إلى العلاقة القائمة بين لفظين معجميين .

**سادسا** : إن البنية العميقة للنص تشكل عاملا مهما في ترابط النص وانسجامه ، وذلك من خلال ما يسمى المستوى التداولي والسياق الذي أكد عليه علماء النص عموما .

**سابعا** : إن النص القرآني يتميز بترابط لا يجاريه ترابط في أي نص آخر؛ وذلك لغزارة الوشائج والروابط والتلاحم والمعاني التي تؤدي دائما إلى انسجام تام في جمله وبين آياته ؛ فهو كلام الله المنزل المتفرد بخصائصه نظما وبلاغة وإعجازا .

والحمد لله رب العالمين

## مصادر البحث

١ـ الأزهر ، الزناد ، نسيج النص : بحث فيما يكون الملفوظ نصا ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٣م ، ط١ .

٢ـ براون ، ج . ب وزميله ، تحليل الخطاب ، ترجمة وتعليق : منير التريكي وزميله ، الرياض ، ١٩٩٣م .

٣ـ بوجراند ، روبرت دي ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

٤ـ الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، وقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه : محمد رشيد رضا ، بيروت ، دار المعرفة ، د ـ ت .

٥ـ خطابي ، محمد ، لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩١م ، ط١ .

٦ـ الخنساء ، تماضر بنت عمرو ، ديوان الخنساء ، بيروت ، المكتبة الثقافية .

٧ـ الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر ، مفاتيح الغيب ، بيروت ، دار الفكر ، ( د ـ ت).

٨ـ الزركشي ، محمد بن عبدالله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٧٢م .

٩ـ سشايفر ، جان ماري ، العلاماتية وعلم النص ، إعداد وترجمة : منذر عياش ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٤م ، ط١ .

١٠ـ السكاكي ، محمد بن علي ، مفتاح العلوم ، ضبطه وكتب حواشيه وعلق عليه : نعيم زرزور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م ، ط١ .

١١ـ السيوطي ، جلال الدين ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تحقيق : علي البجاوي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٣م .

١٢ـ الشاوش ، محمد ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس ، ( د ـ ت ) ، ط١ .

١٣ـ الشريف الرضي ، محمد بن الحسن ، ديوان الشريف الرضي ، تحقيق : عبدالفتاح الحلو ، باريس ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦م ، ط١ .

١٤ـ الصابوني ، محمد ، صفوة التفاسير ، بيروت ، دار القرآن الكريم ، ١٩٨١م ، ط١ .

١٥ـ ابن كثير ، إسماعيل أبو الفداء ، تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، ١٩٨٠م ، ط١ .

١٦ـ عمرو بن كلثوم ، ديوان عمرو بن كلثوم ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٦م ، ط١ .

١٧ـ الغرناطي ، محمد بن يوسف ، البحر المحيط في التفسير ، طبعة جديدة بعناية : عرفات حسونة ، مراجعة : صدقي محمد جميل ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٢م .

١٨ـ فضل ، صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الكويت ، ١٩٩٢م .

١٩ـ الفقي ، صبحي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : دراسة تطبيقية على السور المكية ، القاهرة ، دار قباء ، ٢٠٠٠م ، ط١ .

٢٠ـ مصلوح ، سعد ، في النص الأدبي : دراسات أسلوبية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ٢٠٠٢م ، ط٢ .